

## العولمة مظاهر وتجليات

د. الدكتورة رحيمة الطيب عيساني

جامعة باتنة- الجزائر.

## مقدمة

منذ بداية السبعينيات من القرن العشرين، وحتى نهاية الحرب الباردة خضع النظام العالمي لعملية تسريع كبرى لم يشهد التاريخ لها من قبل مثيلا، تمثلت أساسا في انفجار تكنولوجي كبير في ميدان الإعلام والاتصال، ارتفعت بموجبه قوة جمع المعلومات وتخزينها واستغلالها ونقلها إلى مستويات غير مسبوقة في تاريخ الإنسانية من قبل، انبعثت في خضمها ظواهر جديدة؛ لعل أوسعها انتشارا وأكثرها جماهيرية ظاهرة " العولمة "، التي يراها " توماس فريدمان " نظاما ينهض على ثلاث توازنات تتداخل فيما بينها، وتؤثر في بعضها البعض<sup>1</sup>.

يتمثل الأول منها : في التوازن التقليدي بين الدول، وسرعان ما يتراجع عنه ليؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت القوة المسيطرة الوحيدة في العالم؛ بما يعني أن التوازن بينها وبين العالم الذي تسيطر عليه مفقود تماما؛ خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، وسقوط الاتحاد السوفياتي.

ويتمثل الثاني منها : في التوازن بين الدول والأسواق العالمية التي يشكلها ملايين المستثمرين الذين يحركون أموالهم حول العالم بمجرد الضغط على فأر الكمبيوتر (الماوس)، يطلق عليهم " فريدمان " مصطلح " القطيع الإلكتروني " الذي يتجمع في المراكز العالمية الرئيسية مثل : " وول ستريت، ولندن، وباريس وفرانكفورت وهونغ كونغ " (أسواق السوبر ماركت كما يسميها فريدمان) والتي

<sup>1</sup>. نقلا عن: نبيل راغب: أقنعة العولمة السبعة (القاهرة: دارغريب للطباعة والنشر والتوزيع، (1)، 2001م)، ص (8).

## كـ الدكتورـة رحيمـة الطيب عـسـاني

أصبح تأثيرها في مجريات الأمور في عالم اليوم أقوى وأعمق بكثير من تأثير الدول مهما كانت تملك من الطاقة المادية والقوة العسكرية،

وتمثل الثالث منها : في التوازن بين الأفراد والدول، ذلك أن العولمة تمنح الأفراد قوة ذاتية واقتصادية تمكنهم من الخروج عن طوع دولهم، وأعراف وتقاليدهم، فالثورة الإلكترونية، وتكنولوجيا الإعلام والاتصال تجاوزت كل الحدود الجغرافية والسيادة بين الدول، وحطمت الكثير من الأسوار والسدود التي كانت تحدّ من الحركة والاتصال بالناس في أي مكان وزمان.

وتبدو أبرز ملامح العولمة ما يظهر من خلال التطورات المدهشة التي تعرفها مجالات الإعلام والاتصال عبر الأقمار الصناعية والإنترنت على النحو الآتي :

- عمق التأثير في الثقافات وفي السلوك الاجتماعي وفي أنماط المعيشة.  
- اتساع دائرة الخيارات الاقتصادية من خلال حركة الاستثمارات الدولية والأسواق المفتوحة، وتضييق دائرة الخيارات السياسية من حيث تضائل القدرة على الاكتفاء الذاتي اقتصاديا، ومن حيث تزايد معطيات التداخل الاستقلالي سياسيا.

- نمو القطيع الإلكتروني " Electronic Herd " من مؤسسات متعددة الجنسيات، وحتى من أفراد يبحثون عن الربح، ويؤثرون في قرارات الدول وفي مصائر شعوبها.

- تسخير أدوات العولمة بكيفية تمكن منتجي هذه الأدوات من الطغيان على المستهلكين والمتلقين بحيث تؤثر في تهميش لغاتهم الخاصة، وفي إضعاف هوياتهم.

## العولمة مظاهر وتجليات

ويعتبر " مارك فيرو " أنّ العصر الحاضر إنما هو نتاج أربع عولمات ساهمت كل منها على حدا في مأسسة ما يمكن تسميته بعقيدة التوحيد أو " إيديولوجية التطابق " وهي<sup>2</sup> :

عولمة الاقتصاد؛ وقد بدأت تظهر خلال القرن السادس عشر، وهو ملمح مافئ يتسارع ويتطور، ليجرز إلى الوجود ظواهر مثل: ارتفاع وانخفاض الأسعار، تطور التقنيات، تزايد الضغوط الخارجية ... التي أفقدت المواطن معاييرها الثابتة والكامنة حول الملك والضابط، والقانون وغيرها، وهذه الفترة أرخت لما يسميه فيرو، بـ " فترة ضياع المعايير".

ثم جاءت بعد ذلك، مرحلة العولمة البيروقراطية، والتي تزامنت مع الثورة الفرنسية، وظهور بذور العهد التكنوقراطي والسلطة المركزية، واتساع الهوة بين المركز والأطراف، وأدت إلى " رفض كل من هم خارج النظام من مهمشين وضحايا بما في ذلك مناطق بأكملها، وهذه الفترة كرسّت لمرحلة " غياب الملجأ أوضياعه".

ثم جاءت المرحلة الثالثة؛ وهي التي أسست للعولمة العلمية خلال القرن السابع عشر، على أنّها كانت بطيئة لاعلى مستوى العلوم الطبية والفيزيائية فحسب، ولكن فيما يخص العلوم الإنسانية والاجتماعية والعمران أيضا.

ثم مرحلة عولمة الإعلام والاتصال، وهي تؤرخ لمرحلة توحيد الخبر الذي تتناقله وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري كل يوم بفضل التطورات التي شهدتها تكنولوجيا البث الفضائي خاصة، والتي صنعت وكرّست وسايرت ظاهرة العولمة لتفرز من بين ظهرانيها مابداً يصطلح عليه بـ " القرية الإعلامية " أو " المجتمع الإعلامي الكوكبي".

---

<sup>2</sup>. نقلا عن: يحيى اليحياوي : في العولمة والتكنولوجيا والثقافة : مدخل إلى تكنولوجيا المعرفة، (بيروت : دارالطليلة،

ط (1)، 2002م)، ص (21).

## كـ الدكتورـة رحيمـة الطيب عـدسانـي

وقد تناولت كثير من الأدبيات النظرية العولميتين الأولتين خاصة بالدراسة والتنظير على عدة مستويات، وبعده رؤى وطروحات فكرية تتأرجح بين التهليل والانهار بما تتيحه أو أتاحته هذه الظاهرة من فرص للتطور والرخاء والخروج من بوتقة الفقر، للحاق بركب الدول المتقدمة، والانعتاق من القوانين المقيدة للحريات الشخصية والعامة؛ وبين التشاؤم والممانعة لما تطرحه مظاهر العولمة في جانب فرض هيمنة الرأسمالية المتوحشة، والاعتداء على الديمقراطيات والسيادة للدول، وعلى الهويات الوطنية، وعمليات التنميط والتحنيط لثقافات الشعوب والأمم ومحاولات إلغائها بخصوصياتها المتميزة نحو " ثقافة عالمية "، تصنعها ثقافة الاستهلاك اللامتناهي وثقافة السلوك والذوق الجاهز الذي تحمله معلبات المؤسسات والمصانع الأمريكية، والشركات متعددة الجنسيات.

وبعيدا عن هذا الجدل وتداعياته بين المؤيدين والمعارضين للعولمة شكلا ومضمونا كان لزاما أن تناقش الظاهرة من وجهة النظر الأكاديمية، بما يضع بين يدي الباحث في الموضوع مؤشرات للبحث والوقوف على تفاصيل العناوين الرئيسية فيه، ويخوله لأن يبدي قبوله أو رفضه أو حياده تجاه ما كتب وما ظهر للعيان أنه من تداعيات العولمة أو مؤسساتها.

من هذا المنطلق تطرح هذه الدراسة أولى إشكاليات للعولمة المتمثلة في :

- ما هي العولمة ؟

- ما المظاهر والتجليات التي برزت فيها حتى استحقت بأن تسمى ظاهرة العصر ؟

أولا : العولمة؛ وقفة على تخوم المفهوم

رغم كثرة التعريفات التي سردها الباحثون في شتى التخصصات للعولمة إلا أن بعضهم يؤكد صعوبة إيجاد تعريف واضح ودقيق وشامل لجوانب العولمة كظاهرة وكعملية مستمرة ومتسارعة، فيقول في الصدد جيمس روزناو : " وإن كان يبدو مبكرا وضع تعريف كامل وجاهز يلائم التنوع الضخم لهذه الظواهر المتعددة، فعلى سبيل

## العولمة مظاهر وتجليات

المثال يقيم مفهوم العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل : الاقتصاد، السياسة، الثقافة، الأيديولوجيا، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج، تداخل الصناعات عبر الحدود، انتشار أسواق التمويل، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة". ويعقب قائلا : في ظل ذلك كله، فإن مهمة إيجاد صيغة مفردة تصف كل هذه الأنشطة تبدو عملية صعبة، وحتى لو تم تطوير هذا المفهوم، فمن المشكوك فيه أن يتم قبوله واستعماله بشكل واسع " <sup>3</sup>.

وحتى نقرب من صياغة تعريف شامل للعولمة، فلا بد أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها <sup>4</sup> :

الأولى : وتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح متاحة لدى جميع الناس.

الثانية : وتعلق بتذويب وإزالة الحدود بين الدول.

الثالثة : زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات مع الأخذ بعين الاعتبار أن العولمة تحدث عبر تكنولوجيا الاتصالات والمنافسة والمحاكاة وتماثل المؤسسات ومن خلال طريقتين أساسيتين هما : التحديث، والثورة التكنولوجية. وفي ضوء ذلك؛ فإن الخطاب التعريفي للعولمة، وانطلاقا من تطور الجهاز المفاهيمي تاريخيا يجب أن ينبع من كونها أداة تحليلية لوصف عمليات التغيير الحاصلة في مجالات مختلفة.

وفي هذا الإطار قدمت " اللجنة الأوروبية " تعريفا للعولمة يصفها بأنها : " العملية التي عن طريقها تصبح الأسواق في الدول المختلفة تعتمد كل منها على الأخرى بشكل متزايد بسبب ديناميكيات التجارة في السلع والخدمات وتدفق رأس

<sup>3</sup>. جيمس روزناو : ديناميكية العولمة؛ نحو صياغة علمية. قراءات إستراتيجية (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، 1997م).

<sup>4</sup>. عبد المطلب عبد الحميد : العولمة واقتصاديات البنوك، ص (17).

## الدكتورة رحيمة الطيب عساني

المال والتكنولوجيا، وهي ليست ظاهرة جديدة ولكنها استمرارية للتطورات التي تتابعت لفترة طويلة من الزمن " <sup>5</sup>.

والعولمة حسب صندوق النقد الدولي في تقريره عن " آفاق الاقتصاد العالمي " في ماي (1997 م). هي : " التوافق، التواكل " الاقتصادي المتنامي لمجموع بلدان العالم مدفوعا بزيادة حجم أوتنوع المبادلات العابرة للحدود والخدمات والسلع كما التدفق العالمي لرؤوس الأموال، مع الانتشار المتسارع الشامل للتكنولوجيا " <sup>6</sup>.

ويحدد ريكاردو بتريليا ظاهرة العولمة في : " مجموعة المراحل التي تمكن من إنتاج وتوزيع واستهلاك السلع والخدمات من أجل أسواق عالمية منظمة، أوفي طريقها إلى التنظيم، وفق مقاييس ومعايير عالمية؛ من طرف منظمات ولدت أو تعمل على أساس قواعد عالمية بثقافة تنظيم منفتحة على المحيط العالمي، وتخضع لإستراتيجية عالمية من الصعب تحديد فضائها (القانوني والاقتصادي والتكنولوجي) بحكم تعدد ترابطات وتداخلات عناصرها في مختلف العمليات " الإنتاجية " قبل عملية الإنتاج وحتى بعده " <sup>7</sup>.

إن هذا التحديد المتميز لظاهرة العولمة، على دقته وعمق تصوره، يطرح مع ذلك بعض الملاحظات المنهجية؛ ثلاثة منها تترأى لنا أساسية <sup>8</sup> :

الأولى : وتتجلى في الصعوبة الموضوعية التي يطرحها أمر ترسيم حدود فضاء العولمة لا بسبب الطابع العالمي للظاهرة فحسب. ولكن أيضا بالاحتكام إلى ضعف الأدوات الإحصائية الكفيلة بتحديد الفضاء ذاته، وهو ما لم يكن مطروحا ولا واردا حتى بالنسبة لمقاربة ظاهرتي التداويل وتعدد الجنسية.

---

<sup>5</sup>. جراهام طومسون : "مقدمة؛ تحديد موقع العولمة "، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية (تصدر عن اليونسكو، ع 160)، جوان 1990م)، ص (10).

<sup>6</sup>. مجلة علوم وتكنولوجيا، ع (49)، ديسمبر 1997، ص (19).

<sup>7</sup>. Petrella. R *La mondialisation de l'économie et de la société, une hypothèse prospective*In futuribles, septembre 1989.

<sup>8</sup>. يحيى اليحيوي : في العولمة والتكنولوجيا والثقافة، ص (12).

## العولمة مظاهر وتجليات

الثانية : وتتعلق بعدم ثبات مصطلح العولمة وتطوره المستمر، وبالتالي انفتاح طرحه على ظواهر جديدة عليه ومواكبة لظهوره كتزايد دور العلم والتكنولوجيا في الأنشطة الإنسانية، وتطور انتشار تكنولوجيا الإعلام والاتصال على نطاق عالمي واسع متجاوز للحدود والتنظيمات والقوانين.

الثالثة : وتحيل إلى خاصية التناقض التي تتسم بها ظاهرة العولمة في أحد جوانبها ولاسيما ظاهرة علمية التكنولوجيا، وتكنولوجيا العلم، وهي الظواهر التي تنبئ بما سيكون عليه النشاط الإنساني طيلة القرن الحادي والعشرين اقتصادا واجتماعا وطبيعة معرفة.

ويعد أقدم، وربما أهم تعريف في المجال الذي قدمه رونالد روبرتسون الذي يؤكد فيه أن العولمة هي: "اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش"<sup>9</sup>، فالعولمة بهذا المعنى تشير إلى وعي وإحساس الأفراد في كل مكان بأن العالم ينكمش، ويتقلص، ويقترّب من بعضه بعضا. وإن أهم ما يميز تعريف " روبرتسون " هو تركيزه الشديد على فكرة انكماش العالم، والتي تتضمن أمورا كثيرة أهمها<sup>10</sup> :

- تقارب المسافات والثقافات.

- ترابط المجتمعات والدول حيث لم يعد بالإمكان العزل والانعزال.

- سرعة التحولات والمستجدات وعدم القدرة على مجاراتها.

ويرى السيد ياسين أن العولمة: " ليست محض مفهوم مجرد، بل عملية مستمرة يمكن ملاحظتها استخدام مؤشرات كمية وكيفية في مجالات السياسة

---

<sup>9</sup>. رونالد روبرتسون : العولمة؛ النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية، ترجمة، أحمد محمود ونورا أمين (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1998م).

<sup>10</sup>. عبد الخالق عبد الله : " العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها "، عالم الفكر، ع 22، 1999م، ص (53).

## الدكتورة رحيمة الطيب عساني

والاقتصاد والثقافة والاتصال " <sup>11</sup>. فهو يرى أن جوهر العولمة يتمثل في: سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني، وأغفلت حركة الخدمات ورؤوس الأموال.

وقد اعترض على السيد ياسين إغفاله الحديث عن علاقة العولمة بالرأسمالية وأنه <sup>12</sup>:

1- لا يمكن أن تفهم العولمة كمجرد تجل للتطورات التقانية ولثورة المعلومات والاتصالات لأنها ستظل مع أهميتها- غير مفهومة مالم تربط بتوسعات النظام الرأسمالي إلى معظم أنحاء المعمورة.

2- ظاهرة العولمة مازالت بعد جزئية، ولم تكتمل بعد.

3- العولمة ظاهرة انتقائية، وتتم على هوى الشركات المتعددة الجنسيات ودول المركز الرأسمالي. ففتح الأسواق حاصل بالنسبة للسلع التي تمتلك الدول الصناعية الكبرى ميزة تنافسية في إنتاجها وتسويقها، وتبقى هذه الأسواق مغلقة أمام المنتجات الزراعية والمنسوجات التي تمتلك فيها الدول النامية مزايا مهمة، والحواجز تزال من طريق حركة رؤوس الأموال، ولكنها تستبقي وتشدد على تحركات العمالة، وكذا نقل التقنية والمعلومات ليس حراً، بل شددت الدول المتقدمة من خلال منظمة التجارة العالمية من حقوق الملكية الفكرية، وارتفعت بذلك تكلفة الحصول على التقنية والمعلومات أمام الدول النامية المستوردة لهذه المنتجات.

4- لما كانت العولمة نتاج سياسات واختيارات حكومات وشركات متعددة الجنسيات، وليست فقط نتاج تطورات تقانية ومعلوماتية واتصالية، فإن ثمة في العولمة قابلية للارتداد والانعكاس، وهي ليست حتمية. وهذه الجوانب القابلة

<sup>11</sup>. السيد ياسين: " في مفهوم العولمة"، في كتاب: العرب والعولمة، ص (25).

<sup>12</sup>. إبراهيم العيسوي: مناقشة السيد ياسين، في كتاب: العرب والعولمة، ص (49، 50).

## العولمة مظاهر وتجليات

للارتداد تتمثل في السياسات الاقتصادية التحررية والاتجاه إلى اقتصاد السوق ونبذ التخطيط، والتراجع عن الالتزامات الاجتماعية للدولة كما أن قابلية بعض جوانب العولمة للارتداد أو التعديل مرتبطة بالتناقضات التي تفرزها العولمة والقوى المضادة التي تولدها.

لذلك نظرت كثير من التعريفات الاصطلاحية " للعولمة " أنها بقدر ماهي مظهر اقتصادي واجتماعي وثقافي وسياسي، فهي كذلك تمثل هيمنة ثقافية وفكرية لنموذج مدني تحاول أن تفرضه الولايات المتحدة الأمريكية على العالم؛ فقد أشار محمد عابد الجابري-في هذا الصدد- إلى أن :  
" العولمة " تعني في معناها اللغوي: تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، وهي تعني الآن في المجال السياسي منظورا إليه من زاوية الجغرافيا (الجيوبولتيك) العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلدا بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات، على بلدان العالم أجمع؛ فالعولمة إلى جانب أنها تعكس مظهرا أساسيا من مظاهر التطور الحضاري الذي يشهده عصرنا، هي أيضا أيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته<sup>13</sup>.  
ويرى السيد ولدباه : أن مفهوم " العولمة " الذي يتكاثر الحديث حوله مليا في المرحلة الحالية، ننظر إليه في -دائرتنا العربية الإسلامية- " على استفراد القوى الغربية والولايات المتحدة على الخصوص بمقدرات ومصالح المعمورة من أجل تكريس نموذجي أحادي مهما نتجت عنه هواجس الخطر على الذات الحضارية والهوية الثقافية المغايرة، في وقت تبدو فيه انتكاسة المشروع النهضوي للأمة أمرا جليا " <sup>14</sup>.

<sup>13</sup>. محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الثقافية، في كتاب : العرب والعولمة، ص (300).

<sup>14</sup>. السيد ولدباه : " العولمة والاقتصاد في النظرية الاختزالية للإسلام "، جريدة الاتحاد، 17/05/1997م، ص (22).

## كـ الدكتورـة رحيمـة الطيب عدساني

وتشير شريفة فتحي إلى أنه : " لو حاولنا إيجاد تعريف حقيقي لمفهوم العولمة لوجدنا أنها تقترب مما قاله المفكر العربي سمير أمين، حيث أشار إلى أنها سعي بعض الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية للتسلط اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا على بعض الدول، في محاولة منها للتدخل في خصوصيات هذه الدول وطمس هويتها، ومن ثم تنميط العالم ككل حسب مقتضيات مصالحها الذاتية " <sup>15</sup>.

ويعترض السيد ياسين على هذا الاتجاه في تعريف " العولمة " فيقول : " الكونية ليست أيديولوجية جديدة للهيمنة تدعو لها القوى العظمى المسيطرة، بقدر ما هي عملية تاريخية تعد نتيجة لتفاعلات معقدة، سياسية واقتصادية وثقافية وعلمية وتكنولوجية، فإن المعركة بصدها لاتتعلق كما يظن البعض برفضها أو مهاجمتها، وإنما في نسق القيم الذي ينبغي أن يوجه حركتها ويحدد مساراتها حتى تكون عملية تاريخية في صالح التحرر الإنساني " <sup>16</sup>.

والحق أن " العولمة " كما هي مرحلة تاريخية ومظهر اقتصادي وسياسي واجتماعي؛ فهي كذلك هيمنة أمريكية، وهذا ما يقربه السيد ياسين نفسه، حين رصد فئات أربعة تندرج في إطار محاولات تعريف العولمة؛ باعتبارها حقبة تاريخية، وباعتبارها تجليات لظواهر اقتصادية، وباعتبارها انتصار للقيم الأمريكية وباعتبارها ثورة اجتماعية وتكنولوجية. فيلاحظ أن التعريفات : " تكاد تكون المكونات الأساسية لتعريف واحد جامع للعولمة، فهي تجمع بين جنباتها كونها حقبة تاريخية، وهي تجل لظواهر اقتصادية، وهي في الوقت الراهن على الأقل- هيمنة للقيم الأمريكية، وهي أخيرا ثورة تكنولوجية واجتماعية " <sup>17</sup>.

---

<sup>15</sup>. شرفة فتحي : " العولمة الأمريكية وإشكالية الفقر "، نقلا عن يحيى أحمد الكعكي : الشرق الأوسط وصراع العولمة، ص (90).

<sup>16</sup>. السيد ياسين : الكونية والأصولية وما بعد الحداثة (القاهرة : المكتبة الأمريكية، 1996م)، ص (46).

<sup>17</sup>. السيد ياسين : العولمة والطريق الثالث (القاهرة : ميريت للنشر والمعلومات، 1999م)، ص (95).

## العولمة مظاهر وتجليات

وهكذا تظهر الآراء متضاربة حول مفهوم العولمة، ويتخوف الباحثون حتى من الآفاق المستقبلية للظاهرة، وهو الأمر الذي زرع الريبة والخوف من مآل الظاهرة ونتائجها على البلدان المتطورة والمجتمعات النامية معا، ذلك أن ملامح المستقبل غير جلية كما يؤكد ذلك أحد مؤسسي نادي روما (الكسندر كينغ) قائلا : "إننا وسط مخاض طويل وشاق سيؤدي بشكل أوبأخر إلى ميلاد مجتمع معولم لا نستطيع أن نتكهن الآن بهيكلته المحتملة " <sup>18</sup>.

### ثانيا : التجليات الاقتصادية للعولمة

تشير كثير من البحوث والدراسات إلى أن للعولمة عديد من المظاهر والتجليات؛ بعضها اكتملت ملامحه، وتبينت معالمه الأساسية كالمظهر الاقتصادي، وبعضها الآخر مازال في طور التشكل ولمّا تتبين معالمه ولم تتحدد ملامحه الرئيسية بعد، وتتجلى مظاهر العولمة في المجال الاقتصادي في :

#### (أ) تراجع قدرة الحكومات الوطنية على توجيه الأنشطة الاقتصادية

أو السيطرة عليهما : بظهور تقسيم عمل جديد للاقتصاد العالمي الذي لم يعد يخضع اليوم للرقابة التقليدية، ولم يعد يؤمن بتدخل الدول في نشاطاته، وخاصة فيما يخص انتقال السلع والخدمات ورأس المال على الصعيد العالمي، فقد بلغ النشاط الاقتصادي العالمي مرحلة الاستقلال التام عن الدولة القومية، وأصبح يشكل نظاما واحدا تحكمه أسس عالمية مشتركة، وتديره مؤسسات وشركات عالمية ذات تأثير على كل الاقتصادات المحلية. ويظهر ذلك في الآتي <sup>19</sup> :

---

<sup>18</sup>. الحبيب الجنعاني : " ظاهرة العولمة: الواقع والآفاق "، مجلة عالم الفكر، م (28)، ع (2)، 1999م، ص (11).

<sup>19</sup>. سيار الجميل : العولمة الجديدة (بيروت : مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، 1997م)، ص (150)، ومصطفى العبد الله الكفري : " العرب والعولمة (المنعكسات الاقتصادية) في : فعاليات الملتقى الدولي (الجزائر والعولمة)، ص (71).

## الدكتورة رحيمة الطيب عساني

- الاتجاه نحو تداخل الاقتصاد العالمي، واندفاع الدول نحو نظام الاقتصاد الحر، والخصخصة والاندماج في النظام الرأسمالي كوسيلة لتحقيق النمو، وتحول المعرفة والمعلومة إلى سلعة إستراتيجية وإلى مصدر جديد للربح، وتحول اقتصاديات الدول المتقدمة من التركيز على الصناعة إلى التركيز على الخدمات.

- تزايد سطوة المؤسسات والمنظمات الاقتصادية العالمية في مجال فرض النظم الاقتصادية الدولية، كالبنك الدولي للإنشاء والتعمير، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، فقد أصبح هذا الثالوث بمثابة آلية التحكم والتوجيه للاقتصاد العالمي. ولعلّ ممّا يدلّل على ذلك ما أعلنه مدير منظمة التجارة العالمية حين صرح قائلاً : " إننا نكتب دستور اقتصاد عالمي واحد ". وينص ميثاق المنظمة على أن " يكفل كل عضو توافق قوانينه ولوائحه وإجراءاته الإدارية مع التزاماته تجاه المنظمة ". وتعد هذه هي المرة الأولى التي تمنح فيها مؤسسة دولية سلطة تجاوز المصالح القومية لأعضائها والتضحية بها، كما تملك المنظمة سلطة توقيع العقوبات بصورة آلية على أي طرف تدينه لجان الخبراء مالم تصوت الدول الأعضاء بالإجماع ضد هذه العقوبات خلال (90) يوماً<sup>20</sup>. وإلى جانب هذا النشاط العالمي لتحديد المعايير بصورة رسمية من خلال مقررات هذه المؤسسات الدولية فوق القومية، فإن ثمة نموا ملحوظا كذلك لما يعرف بالأنماط غير الرسمية(بصدد تحديد المعايير) إذ تشير الملاحظة إلى أن معايير المحاسبة والمعايير القانونية في المجال التجاري باتت تقنن وفق الممارسات الأنجلو-أمريكية، وأنّ التزام الشركات الطوعي بمثل هذه المعايير، أو التزامها بممارسات التحكم التجاري المستقل غالبا ما يعد شرطا لحصولها على العقود أو متطلبا لحصولها على القروض المالية.

<sup>20</sup>. ممدوح محمود منصور : العولمة (دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد)، ص (67).

## العولمة مظاهر وتجليات

(ب) تنامي دور الشركات متعددة الجنسيات : وتزايد أرباحها واتساع أسواقها، وتعاضم نفوذها في التجارة الدولية وفي الاستثمار، لتتضاءل -في مواجهتها- قوة دول الجنوب التي باتت تمثل نهبا أوفريسة لهذه الإمبراطوريات الاقتصادية العملاقة، وقد برز ذلك في عدة مظاهر هي<sup>21</sup> :

- استخراج الخامات والموارد الطبيعية الزراعية والمعدنية ومصادر الطاقة من الدول النامية بأسعار متدنية، وهو ما يعد استنزافا لهذه الموارد.

- استغلال العمالة المحلية وبأجور متدنية في ظل غياب تنظيمات عمالية قوية في الدول النامية، حيث يبلغ متوسط الأجر الشهري للعامل في بعض الشركات ما يعادل (70 دولارا) لستة أيام عمل أسبوعيا وثمانى ساعات يوميا، كما لا تلتزم الشركات بالتأمين الاجتماعي أو بالرعاية الصحية أو بتعويضات نهاية الخدمة.

- الاستحواذ على نسبة كبيرة من قروض المؤسسات الدولية والدول المانحة مما أدى إلى زيادة التدفق النقدي " الخارج " عن التدفق النقدي " الداخل " كما زادت فوائد ديون العالم النامي على الأموال المقترضة أصلا.

- اعتماد هذه الشركات على الخبرة التكنولوجية، وعلى جهود البحث والتطوير في الدول الصناعية المتقدمة، وعدم إتاحة المجال أمام دول الجنوب لبناء قاعدة علمية أو تكنولوجية خاصة.

- التهرب الضريبي، والتحايل على السلطات الضريبية في دول الجنوب عن طريق عدم إظهار الأرقام الحقيقية للأرباح المحققة، وذلك من خلال سلسلة من التحويلات بين فروع هذه الشركات، حيث يقوم أحد الفروع بالشراء من فرع آخر للشركة في دولة أخرى بأسعار مبالغ فيها.

<sup>21</sup>. ممدوح محمود منصور : العولمة، ص(72، 73).

## كـ الدكتورـة رحيمـة الطيب عـدسـاني

- عدم الالتزام بمعايير الأمان في المصانع المقامة في دول الجنوب، مما قد يعرض العمالة والبيئة في هذه الدول لمخاطر كبيرة، مثل ما حدث في مصنع شركة " يونيون كاربايد " في مدينة " بوبال " بالهند عام 1984 م.

- لجوء هذه الشركات إلى أساليب غير مشروعة كالرشوة، واستغلال مظاهر الفساد السياسي المنتشر في دول الجنوب تحقيقا لمصالحها، ولو على حساب الأضرار باقتصاديات دول الجنوب وبمصالحها الوطنية.

وتعد الشركات متعددة الجنسيات جوهر وقلب العولمة، وذلك بحكم دورها الأساسي في صناعة القرارات الخاصة بالإنتاج؛ فهي التي تحدد : ما الذي ينتج ؟ وكيفية إنتاجه ؟ ولصالح من ينتج ؟ كذلك فإن لها تأثيرا فعلا على المستويات الوطنية والعالمية وفي جميع النواحي.

(ج) بروز الأسواق المالية العالمية : لعلّ الجانب المالي يمثل أوضح دليل على ظاهرة العولمة وتكامل الأسواق المالية والمتجسدة في النمو الانفجاري لصفقات الدولارات من رأس المال العالمي. وكانت حركة رأس المال في الأسواق العالمية في حدود (188 ملياراً) عام 1986 م، ثم قفزت إلى (102 تريليوناً) عام 1995 م. وتعتبر هذه الزيادة ثلاثة أضعاف الرقم الأصلي وبنفس سرعة زيادة حجم التجارة للفترة المذكورة. وارتفعت قيمة الاستثمار الأجنبي المباشر من قبل الشركات متعددة الجنسيات خمس مرات بين منتصف الثمانينيات ومنتصف التسعينيات. وزاد تدفق رأس المال الأجنبي للدول النامية، والمشكّلة لـ (0,05%) من الناتج الإجمالي لفترة (1983 م-1989 م) إلى أكثر من (3,5%) في فترة (1994 م-1996 م)<sup>22</sup>.

لقد كانت الأسواق المالية دائماً عالمية الطابع ومنذ توقيع اتفاقيات " بروتونودز " و بروز البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، لكن رغم الطابع العالمي للأسواق المالية قبل التسعينيات إلاّ أنّها لم تكن معولمة حيث ظلت

<sup>22</sup>. نجاح كاظم : العرب وعصر العولمة (المعلومات: البعد الخامس)، ص (139).

## العملة مظاهر وتجليات

على العموم وحتى بداية عقد التسعينيات تدار من قبل الدول إدارة وطنية وبالإشراف المباشر للمؤسسات المصرفية المحلية، ما استجد خلال التسعينيات هو قيام أسواق مالية عابرة للحدود، وخارجة عن الإطار الرسمي، ويغيب عنها أي تحكم من قبل الدول<sup>23</sup>.

إنّ هذه الأسواق المالية العالمية هي اليوم بكل تأكيد قوة أكبر من قوة كل الدول بما في ذلك الدول الكبرى، التي أصبحت تلهث خلف التطورات في الأسواق المالية العالمية، وتتأثر بتقلباتها صعودا وهبوطا. وتعد الشركات العابرة للحدود النواة الصلبة التي تتربع على عرش الأسواق المالية العالمية، فهناك حوالي (37000) من هذه الشركات مع فروعها (170000) المنتشرة في جميع أصقاع العالم هي الماسكة في مطلع التسعينيات بتلابيب الاقتصاد العالمي، فملياراتها العابرة للقارات بسرعة الضوء تحدد أسعار الصرف الأجنبي، وكذلك القوة الشرائية لهذا البلد أوذاك، ولعملته إزاء عملات بلدان العالم. وهي موزعة جغرافيا بين البلدان الآتية : اليابان (62) شركة، الولايات المتحدة الأمريكية (53) شركة، ألمانيا (23) شركة، فرنسا (19) شركة، بريطانيا (11) شركة، سويسرا (8) شركات، كوريا الجنوبية (6) شركات، إيطاليا (5) شركات، وهولندا (4) شركات؛ وكي ندرك مدى القوة المالية لهذه الشركات فيكفي أن نذكر أنّ<sup>24</sup> :

- " جنرال موتور " يفوق رقم معاملاتها الدخل الوطني الخام الدانمارك.

- و" فورد " يفوق رقم معاملاتها الدخل الوطني لجنوب إفريقيا.

- و" تيوتا " يفوق رقم معاملاتها الدخل الوطني للترويج.

إن تعاضم دور الأسواق المالية، وكتلة رأس المال على الصعيد العالمي، مع تحرير الأسواق سيجعل الدول غير قادرة على اتخاذ إجراءات خاصة بها على صعيد

<sup>23</sup> عبد الخالق عبد الله : " العملة؛ جذورها وفروعها، وكيفية التعامل معها "، عالم الفكر، ص (72).

<sup>24</sup> الحبيب الجنحاني : " ظاهرة العملة؛ الواقع والآفاق "، عالم الفكر، ص (28).

## كـ الدكتورـة رحيمـة الطيب عـدسانـي

النظام المالي والمصرفي. والعمولة الحاصلة في مجال الأسواق المالية العالمية مقصورة على المراكز الرأسمالية المتطورة والمراكز في العلم الثالث التي هي في طريقها للخروج من ترتيب العالم الثالث. وتظل الكتلة الأكبر من الدول النامية خارج هذه العملية، بل تتحمل أثارها.

إننا نشهد تعاضما للأسواق المالية خارج أي نطاق للرقابة أوإمكانية الحد من توسعها، وفي ظل عدم التناسب بين حجم السوق المالية العالمية وحجم الإنتاج والتبادل المادي تفقد هذه الأسواق صلتها تدريجيا بالنظام النقدي ووظائف النقد الكلاسيكية الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى أزمة شاملة تهدد السوق المالية العالمية.

### ثالثا : التجليات السياسية للعمولة

تعددت وتنوعت مظاهر العمولة في المجال السياسي داخليا وخارجيا على حد سواء، ولعل أبرز هذه المظاهر ما يأتي :

(أ) انهيار النظام الدولي القديم وبروز ملامح نظام عالمي جديد : استند النظام الدولي القديم إلى قطبية ثنائية؛ مثلها الولايات المتحدة الأمريكية متزعمة المعسكر الرأسمالي الغربي، والاتحاد السوفيتي (سابقا) متزعما المعسكر الاشتراكي، وقد شكلت مناطق العالم الثالث في ظل الحرب الباردة ساحات للتنافس والمواجهة بين القطبين، ولكن التحولات التي شهدتها الاتحاد السوفيتي وبقية بلدان أوروبا الشرقية منذ منتصف الثمانينات، والتي انتهت بتفكك الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى، وانهيار الأحزاب الشيوعية في تلك الدول، وقيامها بتبني التعددية السياسية، وأشكال من الديمقراطية الليبرالية والاقتصاد الحر على الصعيد الداخلي، واتجاهها نحو الانفتاح على المعسكر الغربي، والانخراط في الاقتصاد العالمي على الصعيد الخارجي، هذه التحولات وضعت النهاية للنظام الدولي القديم، وأسهمت ضمن عوامل ومتغيرات

## العولمة مظاهر وتجليات

أخرى في وضع الأساس لبروز نظام عالمي جديد؛ أفرز تطورات عدة من منظور عملية العولمة :

أولها : تمدد دور الولايات المتحدة الأمريكية على الصعيد العالمي، مما حدا ببعض إلى اعتبار العولمة مرادفاً للأمركة؛ بمعنى سعي الولايات المتحدة الأمريكية إلى إعادة صياغة النظام العالمي طبقاً لمصالحها وتوجهاتها وأنماط القيم السائدة فيها<sup>25</sup>.

ثانها : حدوث موجة ذات طابع عالمي من التحول الديمقراطي، والاتجاه نحو الاقتصاد الحر، ورغم أن بدايات هذه الموجة بدأت في منتصف السبعينيات للتحول الحاصل في البرتغال واليونان وإسبانيا، إلا أنها اتسعت خلال الثمانينيات والتسعينيات لتشمل العديد من بلدان أمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا ووسط أوروبا وشرقها " خلال الفترة من عام (1974م) إلى عام (1994م) تحولت ستين دولة شمولية إلى أنظمة ديمقراطية " <sup>26</sup>.

ثالثها : ثورة المعلومات والاتصالات التي خلقت واقعا جديدا لم يعد في ظله بمقدور أي نظام سياسي؛ مهما كانت درجة تسلطه أن يخفي ممارساته أو يحجب الحقائق عن العالم الخارجي، كما خلقت ما يمكن تسميته " بأثر العدوى " في التحويل نحو الديمقراطية.

(ب) تراجع مبدأ السيادة الوطنية للدول : فإن الانتقال الحر للأفراد والسلع والخدمات والأفكار والمعلومات عبر المجتمعات والقارات، والذي تم خلال التسعينيات ربما أدى إلى انحسار نسبي للسيادة المطلقة. وربما خلق الانطباع بأن الدولة لم تعد ضرورية، وأنها فقدت دورها وأهميتها؛ بيد أنه لم ولن يسقط كل

<sup>25</sup>. نايف علي عبيد : " العولمة والعرب "، المستقبل العربي، ع (221)، جوان (1997م)، ص

<sup>26</sup>. أماني قنديل : عملية التحول الديمقراطي في مصر (1981-1993م) (القاهرة : مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية، ط (1)، 1995م)، ص (7).

## كـ الدكتورـة رحيمـة الطيب عـدسـاني

مظاهر السيادة، ولن يضع نهاية للدولة، فالعولمة سياسيا لاتعني القضاء على الدولة أوبروز الحكم العالمي، وإنما تتضمن دخول البشرية إلى مرحلة سياسية جديدة يتم خلالها الانتقال الحر للقرارات والتشريعات والسياسات والقناعات والخيارات عبر المجتمعات والقارات، وبأقل قدر من القيود والضوابط متجاوزة بذلك الدول والحدود الجغرافية، فتزداد بذلك الروابط السياسية بين دول العالم على نسق غير مسبوق من قبل، وتمثله الملامح الآتية<sup>27</sup> :

التوسع المتزايد في إبرام الاتفاقيات الدولية الشارعة، والنظم الدولية التي تتضمن قواعد وأحكاما ملزمة لعموم الدول، ويمكن أن تمثل هذه القواعد والأحكام في النقاط الآتية :

وجود قواعد قانونية دولية آمرة حاليا تختص بتنظيم مجالات عديدة، وقد أصبحت لهذه القواعد حجية في مواجهة كافة الدول فلا يجوز بحال الاتفاق على ما يخالفها، ولو كان تحت مسمى السيادة الوطنية.

قد أصبحت وفي نطاق المجتمعات الدولية نظم للرقابة والإشراف الدولي تقوم بمهام التحقيق والتفتيش كاتفاقيات حقوق الإنسان والتسلح النووي، واتفاقيات العمل.

استقرار الفقه والقضاء الدولي على عدم إمكانية احتجاج الدول بدساتيرها أو بتشريعاتها الداخلية-وهي من مظاهر السيادة الوطنية-للتنصل من الالتزامات الدولية سواء أكانت ذات طبيعة تعاقدية، أو ناشئة عن أحكام القانون الدولي العام والنظم الدولية ذات الصفة التشريعية، حتى وإن لم تصادق عليها الدول أو تنظم إليها.

---

<sup>27</sup>. ممدوح محمود منصور : العولمة (دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد)، ص (45).

## العولمة مظاهر وتجليات

الاتجاه المتنامي نحو احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ونحو كفالة الضمانات الدولية التي تمكن لاحترام هذه الحقوق، وتكفل عدم انتهاكها من جانب الحكومات الوطنية.

الاتجاهات الحديثة في مجال تقنين قواعد المسؤولية الدولية، والتي تجيز للأشخاص المتضررين إمكانية تحريك دعوى المسؤولية حال وقوع الضرر بغض النظر عن مدى مشروعية أوعدم مشروعية الفعل الذي تسبب في وقوعه. الاتجاه المتزايد نحو إقامة الكيانات الدولية عابرة القوميات أو فوق القومية.

بروز نوع من المشكلات الدولية التي تستلزم تكاتف الجهود الدولية وتضافر الإيرادات السياسية للدول في سبيل الوصول إلى حلول ناجعة وفعالة، من أمثال : البيئة والتلوث، مشكلات الطاقة، مشكلات ندرة المياه والجفاف والتصحر، مشكلات التضخم والبطالة والفقر ونقص الغذاء والدواء، مشكلات الإرهاب والعنف السياسي، مشكلات انتشار الأمراض البوائية القاتلة كالإيدز، وإدمان المخدرات، والجريمة المنظمة، ...

(ج) بروز منافسين جدد للدولة الوطنية : كان لتراجع دور الدولة الوطنية سياسيا أثره في بروز مجموعة من القوى العالمية والإقليمية والمحلية الجديدة خلال عقد التسعينيات، والتي أخذت تنافس الدولة في المجال السياسي، وخاصة في مجال صنع القرارات وصوغ الخيارات، ومن أبرزها<sup>28</sup> :

- التكتلات التجارية الإقليمية كالمسوق الأوروبية المشتركة، التي تطورت خلال الأربعين سنة الماضية لتشكّل وحدة نقدية تعمل من خلال المصرف المركزي الأوروبي الذي أنشأ عام (1999 م)، وذلك بعد أن تنازلت الدول الأوروبية طوعاً عن سيادتها في مجال السياسات النقدية. فإن النموذج الاندماجي الأوروبي يقوم

<sup>28</sup>. عبد الخالق عبد الله : " العولمة؛ جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها "، عالم الفكر، ص (83، 84).

## الدكتورة رحيمة الطيب عساني

أساسا على تخليّ الدول الأوروبية الطوعي عن بعض مظاهر سيادتها لصالح الكيان الإقليمي المتجه نحو التوحد اقتصاديا وسياسيا ولما لا عسكريا واجتماعيا وثقافيا.

- المؤسسات المالية التجارية والاقتصادية العالمية، وأبرزها منظمة التجارة العالمية التي تأسست عام (1996م) لتشرّف إشرافا كاملا على النشاط التجاري العالمي، لتصبح من فرط الضخامة والقوة قادرة على فرض قراراتها وتوجهاتها على كل دول العالم دون استثناء.

- المنظمات الأهلية غير الحكومية على الساحة السياسية العالمية كقوة فاعلة ومؤثرة في المؤتمرات العالمية؛ كمؤتمر : قمة الأرض في " ريو دي جانيرو "، ومؤتمر السكان في " القاهرة "، ومؤتمر المرأة في " بكين "، ومؤتمر حقوق الإنسان في " فيينا "، وأبرز هذه المنظمات غير الحكومية : منظمات البيئة؛ كمنظمة " السلام الأخضر " ومنظمات حقوق الإنسان؛ كمنظمة " العفو الدولية " والمنظمات النسائية العديدة؛ كمنظمة " أخوات حول العالم "، ... فقد تزايد عدد المنظمات غير الحكومية تزيادا مطردا خلال التسعينيات، وأخذت تعمل باستقلال تام عن الدول التي لم تعد قادرة على التحكم في نشاط وعمل هذه المنظمات.

- المنظمات الدولية العالمية المتخصصة، كمنظمة الأمم المتحدة، ومنظمات " بريتون وودز " (صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير) والاتحاد الأوروبي، وكذا منظمة التجارة العالمية كآليات للتنظيم الدولي؛ فيما يتصل بإرساء قواعد ونظم للتعامل الدولي في العديد من المجالات، لتصبح بذلك كيانات فوق قومية، لها كيان عضوي ووظيفي يتمتع بدرجة كبيرة من الذاتية والاستقلالية. وتشير الملاحظة إلى تزايد دور المنظمات غير الحكومية على المستوى العالمي، ويمكننا أن نتمثل ذلك فيما يلي <sup>29</sup> :

---

<sup>29</sup>. Scholte, J. A : *Globalization : A Critical Introduction* (St. Martins Press, Inc., N.Y., 2000), p.155.

## العولمة مظاهر وتجليات

■ تزايد دور القطاع غير الرسمي في مجال تنفيذ السياسات الحكومية ولا سيما في مجالات التعليم والرعاية الصحية والاجتماعية ومجالات الثقافة والإعلام وكذا في المجالات الاقتصادية والتجارية.

■ زيادة حجم المعونات التي تقدمها الدول الكبرى للمنظمات غير الحكومية العاملة في مجالات التنمية الاجتماعية، وذلك مقابل تراجع المعونات التي تقدمها تلك الدول لحكومات دول الجنوب.

■ تنامي دور القطاع غير الرسمي في مجال صنع السياسات العامة في بعض الدول، ويتمثل ذلك في زيادة دور النقابات، واتحادات المنتجين، ومنظمات رجال الأعمال، في الضغط على صانعي القرار السياسي، ناهيك عن تطلّع وسعي العديد من أعضاء المنظمات غير الحكومية إلى توكّي المناصب العامة، والوظائف السياسية (سواء في مجال التشريع أو التنفيذ) بهدف التحكّم في عملية رسم السياسات والبرامج الحكومية وتوجيهها نحو الوجهة التي تخدم مصالحهم الخاصة، ومصالح الجماعات والفئات التي ينتمون إليها.

■ تزايد دور القطاع غير الرسمي في مجال إرساء قواعد تنظيمية وآليات للتعامل الدولي في المجالات الاقتصادية، ومن ذلك مثلا: المنتدى الاقتصادي العالمي الذي ينعقد سنويا في دافوس بسويسرا منذ إنشائه عام 1971م، والذي لعب دورا حيويا في الدعوة إلى دورة أوروغواي لمفاوضات التجارة الدولية (1986م-1994م) كما لعب دورا توفيقيا بصدد قضايا الصراع العربي-الإسرائيلي، والصراع التركي-اليوناني.

وهكذا أصبح من المتاح لمنظمات المجتمع المدني أن تلعب دورا مؤثرا في توجيه السياسات الاجتماعية على نحو متزايد. ولم يقف الأمر عند حد تفعيل دور منظمات المجتمع المدني الوطنية فحسب، وإنما تعدّ ذلك إلى الحديث-مع مطلع التسعينيات أيضا-عمّا سمي بالمجتمع المدني العالمي (Global Civil Society).

### رابعا : التجليات الثقافية والاتصالية للعولمة

إن العولمة في جوانبها الثقافية ظاهرة جديدة تمر بمراحلها التأسيسية الأولى، ولم تبرز كحقيقة حياتية إلا خلال عقد التسعينيات، ولم تتمكن بعد أن تجاري في تجلياتها وتطبيقاتها أرض الواقع التجليات الحياتية والسلوكية والتطبيقات المادية والمؤسسية للعولمة الاقتصادية، والعالم الآن ليس موحدًا ثقافيا، كما هو موحد تجاريا وماليا. كما أنه لا وجود لنظام ثقافي عالمي كما يوجد نظام اقتصادي عالمي، لذلك ونتيجة للغموض الذي يحيط بالعولمة في جوانبها ومظاهرها الثقافية في المرحلة الراهنة فإن دول العالم التي تتدافع وتتنافس للأخذ بسلع وخدمات ومنتجات العولمة الاقتصادية، تبدو أقل اندفاعا وإقبالا، وحتما أكثر ترددا وتمهلا في اندفاعها نحو مفاهيم وقيم وأفكار العولمة الثقافية، بل وأكثر حزما في مجابهة الوافد الثقافي عبر الفضائيات وشبكات الاتصالات والمعلومات.

إن العولمة في جوانبها الثقافية تستمد خصوصيتها من عدة تطورات فكرية وقيمية وسلوكية برزت بشكل واضح في عقد التسعينيات وهي<sup>30</sup> :

(أ) انفتاح الثقافات العالمية المختلفة : وتأثرها ببعضها البعض؛ فلم يحدث في التاريخ أن أصبحت المناطق الثقافية والحضارية بما في ذلك أكثر المناطق الثقافية انعزالا ورغبة في الانعزال، منفتحة ومنكشفة بقدر ما هي منفتحة حاليا، ويظهر ذلك جليا في :

\* الحرية الكاملة لانتقال المعلومات والبيانات والاتجاهات والقيم والأذواق على الصعيد العالمي، وبقدر أقل من العراقيل والقيود والضوابط. وإن لمثل هذا التبادل الحر للأفكار والمفاهيم عبر الثقافات أثره في بروز اهتمامات وعادات وأذواق وآمال وأهداف؛ وربما عقليات مشتركة لا تعبر عن ثقافة محددة بل عن مجموع الثقافات الحية في العالم.

<sup>30</sup>. عبد الخالق عبد الله : " العولمة؛ جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها "، عالم الفكر، ص (75، 76).

## العولمة مظاهر وتجليات

\*بروز المساعي من أجل تقارب الحضارات، وربط الثقافات وتعزيز الهوية العالمية الذي من شأنه أن يخلق عالما بلا حدود ثقافية. وانتقال تركيز اهتمام ووعي الإنسان من المجال المحلي إلى المجال العالمي ومن المحيط الداخلي إلى المحيط الخارجي، وبروز ووضوح الهوية والمواطنة العالمية، مع بقاء الهوية الوطنية للفرد، وربما تعزيزها وترسيخها لدى البعض.

\* فقدان الدول القدرة على التحكم في تدفق القيم والأفكار والقناعات فيما بين المجتمعات والأجيال، وفقدانها السيطرة على التداول الحر للأخبار والمعلومات عبر وسائل ووسائط وتقنيات جديدة لم تبرز إلا في التسعينات. فقد أصبح ملايين من البشر موحدين تلفزيونيا وتلفونيا ومن خلال البريد الإلكتروني وشبكات الإنترنت.

وقد ثار جدل كبير حول الطبيعة التي سوف تكون عليها العلاقات بين الثقافات والحضارات المتقاربة في ضوء العولمة. هل العولمة سوف تساعد على انفتاح الثقافات بعضها على البعض الآخر وتعارفها مما يساعد على الدخول في علاقات تعاون وحوار؟ أم أنه سوف يؤدي الانفتاح المتزايد بين الثقافات إلى دخولها في صراع يهدد السلام والاستقرار في الحضارات؟ كذا مدى قدرة سكان هذه الحضارات على التعامل مع التعددية الثقافية والحضارية التي توفرها العولمة فالسعي من أجل تقارب الحضارات وربط الثقافات وانفتاحها على بعضها البعض ومحاولة تعزيز الهوية الوطنية، وربما محاولة خلق عالم بلا حدود ثقافية هو مجرد وجه واحد من الوجوه العديدة للعولمة الثقافية. ذلك أنه بقدر ما يسعى التوجه العام نحو قارب الثقافات وانفتاحها، فإنّ العولمة الثقافية يمكن لها أن تتجه نحو صراع الحضارات، ونحو الهيمنة الثقافية لثقافة واحدة على سائر الثقافات، ونحو نشر الثقافة الاستهلاكية وجعلها الثقافة الأكثر رواجاً على الصعيد العالمي. فالعولمة الثقافية التي تمهد الطريق حلياً لترابط المناطق الثقافية

## كـ الدكتورـة رحيمـة الطيب عـدسانـي

بإمكانها أيضا أن ترسخ انقسام العالم إلى مناطق حضارية مغلقة، وتزداد انغلاقا، وتستعد لمواجهة بعضها البعض. فمع انتهاء الحرب الباردة، واختفاء الصراع الأيديولوجي بين الشرق الاشتراكي والغرب الرأسمالي، والذي خيم على العالم لحوالي نصف قرن، أصبح الانقسام الحضاري والثقافي أكثر وضوحا من أي وقت آخر. كما أنه ازداد الحديث خلال عقد التسعينيات من القرن العشرين عن احتمال صراع الحضارات خاصة في نقاط التقاء المناطق الحضارية الكبرى التي يذكرها هنتنغتون في كتابه حول صراع الحضارات وتكوين النظام العالمي الجديد

31

(ب) انتشار الثقافة الاستهلاكية : ورغم أن الثقافة الاستهلاكية ليست جديدة، بيد أنها أصبحت في التسعينيات الأكثر رواجاً؛ فلم يحدث في التاريخ أن أصبح العالم مقبلا على رموز ومعطيات وسلع الثقافة الاستهلاكية، كما هو مقبل عليها الآن. كما أنه لم يحدث في السابق أن تمكنت الثقافة الاستهلاكية من الوصول إلى قطاعات واسعة من الأفراد والشعوب من كل المستويات الاجتماعية، وفي كل القارات، ورغم رواجها بين كل الشرائح الاجتماعية إلاّ أنّها تتوجه بشكل خاص للشباب، ويظهر ذلك جليا في :

\* تحول كل شيء إلى سلعة تباع وتشتري، وهو ما يعكس غلبة النزعة الاستهلاكية بشكل مفرط. وتشابه وتجانس السلع أكثر فأكثر، وفقا لما تملّيه الهيئات الدولية من مواصفات موحدة عالمية باعتبارها سلعا موجهة إلى سوق عالمية، ومن هذا المنطلق قد استهدفت العولمة في جوانبها الثقافية تنميط الأذواق وأنماط الاستهلاك وأساليب المعيشة ذاتها.

\* اكتساب السلع إلى جانب قيمتها المادية أوقدرتها الإشباعية قيمة رمزية، بحيث لم يعد الطلب على أية سلعة يتحدد على أساس جودة السلعة أو على

<sup>31</sup>. صموئيل هنتنغتون : صدم الحضارات (كتاب سطور (2)، ط (2)، ص (26، 27).

## العولمة مظاهر وتجليات

خصائصها الذاتية فحسب، وإنما أصبح متوقفاً -وفي المقام الأول- على مجرد الاختلاف في العلامات التجارية.

\* تزايد الإنفاق العالمي على الدعاية والإعلان للترويج الاستهلاكي، فقد أشارت الإحصائيات إلى أن هذا الإنفاق قد ارتفع من (7,4 بليون) دولار سنوياً عام (1950م) إلى (312,3 بليون) دولار عام (1993م)، وقد أدى التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات إلى التركيز على الدعاية التجارية من خلال الوسائط الإلكترونية، إذ ارتفع الإنفاق على هذا النوع من الدعاية فقط-خلال النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي- من (270) بليون دولار إلى (358) بليون دولار سنوياً.

\* وأبعد من ذلك وفي ظل سيادة ثقافة الاستهلاك أصبح الاستهلاك في حد ذاته أسلوباً من أساليب التعبير عن الذات، بمعنى أن القدرة على الاستهلاك باتت تمثل عنصراً من عناصر الإشباع لدى المستهلك، بل أكثر من ذلك فقد أصبح كل من الذوق، أو الموضة، أو أسلوب المعيشة معياراً للتمايز الاجتماعي يفوق في أهميته أحياناً المعايير التقليدية كالانتماء الطبقي.

\* انتشار ظاهر " الماكدونالددة " McDonaldization " -إذا صح استخدام الكلمة ترجمة للمصطلح الإنجليزي- إذ يرى " ريتزر " Ritzer " أن المجتمعات الحديثة ومن ثمّ العالم ككل؛ قد ابتلي بما أسماه ال : (Mcdonaldization) ويقصد بها<sup>32</sup> : " العملية التي سيطرت من خلالها المبادئ التي تحكم خدمة العملاء في سلسلة محلات " ماكدونالدز " الأمريكية الشهيرة لتقديم الوجبات السريعة، وامتدادها إلى قطاعات أخرى من المجتمع الأمريكي، وكذا العديد من المجتمعات الأخرى التي انتقلت إليها هذه المحال، على نحو جاز معه القول بأنها باتت تمثل ظاهرة عالمية.

<sup>32</sup>. ممدوح محمود منصور : العولمة (دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد)، ص (82).

## الدكتورة رحيمة الطيب عدساني

وتتجلى العولمة الاتصالية : من خلال الزخم الكبير في البث التلفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية (القنوات الفضائية) والاستعمال الواسع لشبكة الانترنت التي أصبحت تربط كل العالم، وقد ساهمت الثورة المعلوماتية والاتصالات في انهيار البعد المكاني بين الحضارات والثقافات والأمم، بحيث صار العالم وكأنه قرية صغيرة، بفضل العولمة الإعلامية والاتصالية.

**(1) شبكة الانترنت : أصبحت " الانترنت " الصورة الحية الناصعة** لمجتمع عالمي موحد، أو هي المنظور الأكثر تعبيرا عن مصطلح " العولمة " بأبعاده وتضاريسه المختلفة وخاصة عولمة الإعلام والاتصال، وذلك لقدرتها على نقل المحتوى الثقافي عبر طرق شبكتها فائقة السرعة، والقادرة على الوصول إلى كل مكان على سطح الكرة الأرضية.

وقد استطاعت شبكة الانترنت أن تحتل مساحة واسعة من اهتمام الدول والأفراد وحيزا كبيرا من تفكيرهم على امتداد العالم، ويعود هذا الاهتمام إلى الفعل الكبير لهذه التكنولوجيا التي أصبحت بحق تكنولوجيا العصر دون منازع، وإلى دورها الواضح في صياغة أوجه كثيرة من جوانب الحياة البشرية بانعكاساتها وتداخلاتها وتناقضاتها وثقافتها المختلفة.

وهناك أربعة اعتبارات أساسية تجعل من شبكة الانترنت أحد وسائل العولمة الإعلامية هي<sup>33</sup> :

- لامادية الشبكة؛ وبالتالي قدرتها على اختراق الحدود والتشريعات والقوانين والأجهزة المؤسساتية، فضلا عن غياب مؤسسات رقابية مركزية وطنيا وعالميا تعود لها صلاحيات تقنين الشبكة ومحتوياتها، فإنه من المتعذر على الدول والمؤسسات والهيئات اعتراض سبيل انتشارها أو قرصنة محتوياتها أو تطبيق الرقابة على المعلومات المتنقلة عبرها، شأنها في ذلك شأن الصور العابرة

<sup>33</sup>. يعي اليحياوي : العولمة؛ أية عولمة ؟ (الدار البيضاء : إفريقية الشرق، 1999م)، ص (141-143).

## العولمة مظاهر وتجليات

للقارات أو الأثير المار عبر الإذاعات أو البرامج والتطبيقات المتجولة بين المواقع المعلوماتية.

- سهولة اعتماد الشبكة وإيصال الشبكات الأخرى بها على الرغم من التكلفة الاستثمارية التي تتطلبها، في حال عدم توفر الدول المستخدمة لها على بنية اتصالية وإعلامية أساسا، فضلا عن ضرورة توفير المعلومات والبيانات المنتجة محليا لتدويلها وشيوعها. فإن مجهودات كثير من الدول النامية حاليا منحصرة في نشر معلومات عن مؤسساتها، وبنياتها، التي تبقى إلى حد كبير رمزية، لتجعل من هذه الدول مستهلكة لمعطيات الانترنت أكثر منها منتجة لها.

- غدت شبكة الانترنت تمثل منبرا واسعا لدول ومنظمات كانت وإلى عهد قريب تجد صعوبة في إيصال رسائلها والتواصل مع الآخر.

- الميزة العلمية والجامعية التي أضفتها الشبكة على نفسها منذ البداية، وجعلت منها مجموعة حواسيب جامعية مرتبطة فيما بينها، يتبادل عبرها الباحثون والجامعيون المعلومات والأفكار والآراء، ويتقاسمون من خلالها التحليلات والتجارب. هذا الاعتبار ذو قيمة كبرى لبحكم إبرازه لأهمية الشبكة في الدول الغربية ذات الإمكانيات الضخمة والموارد المتجددة، ولكن أيضا في إبرازه أهميتها بالنسبة لدول لم تعد -بفضل الانترنت- في معزل عن أفاق البحث العلمي وطرحاته المختلفة ولأعن الأفراد والمؤسسات القائمة بها في كل العالم.

وقد ساعدت الانترنت على زيادة الإحساس بالعولمة الإعلامية خاصة في المجال الاقتصادي، بزيادة اعتماد رجال الأعمال عليها في مجال عقد الصفقات نظرا لما تتيحه لهم من بيانات ومعلومات، فضلا عن تزايد عدد العاملين عليها، والتوسع في استخدامها من جانب الشركات والمؤسسات سواء في مجال الإعلان عن منتجاتهم، أو في مجال عمليات البيع لهذه المنتجات.

(2) البث التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية : إن التطور الكبير والسريع في تكنولوجيا الأقمار الصناعية جعل أقمار البث المباشر قادرة على التغطية الشاملة أو تغطية منطقة الخدمة بشكل أوسع مما تغطيه أقمار الخدمة الثابتة، موصلة إرسالها إلى شاشات التلفزيون في المنازل مباشرة من دون أي تدخل من قبل أي جهة أخرى، متجاوزة حدود الدول، فضلا عن ذلك مازالت العمليات التكنولوجية جارية لتسهيل عملية وصول البث المباشر إلى دول العالم بوسائل سهلة ورخيصة؛ إذ تسعى الشركات لإتمام البث التلفزيوني الفضائي المباشر عن طريق الهوائيات الاعتيادية من دون الاستعانة بالأطباق الهوائية، ويتوقع أن ذلك مع بدايات القرن الواحد والعشرين لذلك يشهد هذا العالم أكبر صراع وتنافس بين الشبكات والقنوات التلفزيونية أكثر مما هو عليه اليوم، وسيؤدي هذا إلى حرب تلفزيونية في الفضاء.

وقد تم استغلال وسائط الاتصال الحديثة والمتطورة من قبل الدول الغربية؛ ومنها البث الفضائي المباشر في عملية التدفق الإعلامي الدولي للترويج من خلال ذلك لمظاهر العولمة الإعلامية وذلك انطلاقا من مفهوم أنّ من يصنع ويملك تقنيات الاتصال يتحكم في صياغة المادة الإعلامية، ويكون مسيطرا على عملية التبادل الإعلامي الدولي دون منازع، وغيره مستهلك ومستهدف من قبل تقنيات الاتصال والمواد الإعلامية.

لذلك فإنّ ما جعل الاتساع الجغرافي لعولمة البث الفضائي المباشر هو التطور المستمر في تقنيات الاتصال؛ إذ استطاع النشاط الإعلامي أن يحدد لنفسه بعدا عالميا، وذلك ليس على مستوى تغطيته ومعالجته للأحداث فحسب، ولكن على مستوى تلبية حاجة المتعاملين معه، وذلك بالاعتماد على التغطية العالمية، وعلى القدرة التي تضاعفت على النقل والتوزيع من خلال استخدام أقمار الاتصال، ووكالات الأنباء العالمية وصولا إلى قنوات البث الفضائي.

## العولمة مظاهر وتجليات

وعدت قنوات البث الفضائي المباشر من أكثر آليات العولمة الإعلامية فعالية في الوصول إلى المواطن، والأخطر في مقدرتها على تغيير الحقائق، وتسطير القصص والروايات التي لا ترتبط بالواقع، وقد نجحت فيما فشلت فيه الوسائل العسكرية السياسية، وتعد هذه الوسائل ضمن الاحتكارات التي تمثل وسائل السيطرة الجديدة على الصعيد العالمي، منها<sup>34</sup> :

- احتكار التكنولوجيا الحديثة الدقيقة، من خلال تحول صناعات الأطراف التي تنتج من أجل الأسواق العالمية المفتوحة إلى نوع من الإنتاج من الباطن، تتحكم الاحتكارات المركزية في مصيرها، وتصادر الجزء الأكبر من الأرباح المتحققة من ورائها.

- احتكار وسائل الإعلام على صعيد عالمي، وهذه الوسيلة فعالة جدا من أجل التأثير على تكوين الرأي العام عالميا وقطريا.

- احتكار المؤسسات المالية ذات النشاط العالمي، وهو احتكار يكمل عمل السابق في تدعيم هيمنة المركز على التصنيع من الباطن إلى الأطراف.

إنّ التطور التقني المتسارع الذي يشمل أجهزة بث المعلومات واستعمالها من خلال أجهزة متطورة، يمكن أن تخاطب كل شخص وتحواره وتنقل إليه المعلومات وهو في منزله، جعل من هذا التطور التقني سوقا للهيمنة على الثقافة والإعلام بوصفهما القضية المركزية، التي يجب الاهتمام بها لإحداث التغييرات المطلوبة على الصعيد المحلي والعالمي.

إنّ عالمية الرسالة التي ترجمتها إلى واقع ملموس ثورة الاتصال من خلال البث الفضائي، شهدت اكتشافات ثبتت عالميتها ووسعتها وعمقتها التطورات الإعلامية الحديثة، وأضحت ملامح هذه الثورة ذات قوة تأثيرية بتحديث الملامح الرئيسية للمجتمع العالمي المعاصر، إذ تساهم الصورة والكلمة التي تنقل من خلال

<sup>34</sup>. برهان غليون وسمير أمين : ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ص (80).

## كھ الدكتورۃ رحيمۃ الطيب عساني

الفضائيات العالمية في تشكيل الاتجاهات، وصيغ القيم والسلوك لملايين المشاهدين من متلقي الرسالة الإعلامية، التي تبث من خلال الفضائيات، وتغطي الوقائع والأخبار من مواقع الأحداث.

وتكمن خطورة عولمة وسائل الإعلام والاتصال في التأثير الذي تحققه الدعاية للعولمة، ولا سيما أنّ هذا التأثير قد ازداد في ظل التطور التكنولوجي الحاصل لوسائل الدعاية، وفي مقدمتها البث التلفزيوني المباشر من خلال أقمار الاتصالات.